التغير الثقافي لعادات الزواج بمدينة نالوت

أ. انتصار خليفة محمد الطيف

ملخص البحث:

هدف البحث الحالي إلى تتبع التغيرات الثقافية والاجتماعية بمدينة نالوت، فيما يتعلق بعادات الزواج نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، التي شهدتها المدينة منذ منتصف القرن الماضي 1950 وحتي وقتنا الحاضر.

وذلك من خلال التعرف على بعض العادات المصاحبة للزواج (الخطبة، عقد القران، المهر، مراسيم الزفاف، والسن عند الزواج، ونوع الاختيار، وغيرها، وما صاحبها من تغير نتيجة لعمليات التحديث والحداثة التي شهدتها المدينة.

أولا: المقدمة

يعُد التغير والتبدل في أحوال الناس والثقافات والمجتمعات والحضارات من بين أهم القضايا التي شغلت بال الفلاسفة، والمفكرين، والمتخصصين في مختلف فروع المعرفة على مر العصور.

وعندما ظهرت فروع للعلوم الاجتماعية، تخصص في كل مجال باحثون جعلوا تجليات هذه الظاهرة محور اهتماهم. إن الحياة تمتاز بالتغير والتجديد، وهذا التغير سمة أساسية من سمات الكون كله، لا تختلف المجتمعات البشرية في طبيعتها عن ذلك، فلا وجود لذلك المجتمع الثابت الذي لا يشهد تغيراً، فأي مجتمع يتغير في نواحيه الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، كما قد يتغير في ثقافته وعاداته وتقاليده، وفي قيم وأنماط سلوك أفراده[1].

والمجتمع الليبي كغيره من المجتمعات الإنسانية يمر بتغيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة، وكل مرحلة تاريخية تختلف عن سابقتها ولا سيما التغير الجذري في القيم، أن ينقسم المجتمع نتيجة التغير الاجتماعي السريع إلى فئات يؤمن بعضها بالقيم القديمة، ويؤيد بعضها الآخر القيم الجديدة[2]، وإن ملامح التغير في المجتمع الليبي قد بدأت بعد اكتشاف النفط، ومع بداية تصديره عام 1961م، مما أدى إلى تغير جذري سريع وشامل

لواقع التخلف، ومن أبرز هذه التغيرات هو التغير في النظام الاجتماعي، وفي منظومة القيم، وخاصة تلك المرتبطة بالزواج.

لذا قسم البحث على النحو الآتي:

موضوع البحث وتساؤلاته، أهداف البحث، أهمية البحث، حدود البحث، مصطلحات البحث.

ثانيا: موقع مدينة نالوت

ثالثا: السكان والتركيبة الاجتماعية للمدينة

رابعا: عادات وقيم الزواج بمدينة نالوت في الماضي

خامسا: عادات وقيم الزواج بمدينة نالوت في الحاضر

سادسا: الخاتمة والمقترحات

أهم مراجع البحث

1- موضوع البحث وتساؤلاته

يتمحور موضوع البحث حول طبيعة التغيرات الثقافية التي طرأت على عادات الزواج في مدينة نالوت، نتيجة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، التي شهدتها المدينة منذ منتصف القرن الماضي (1950) وحتى وقتنا الحاضر.

التساؤل الرئيسي:

ما هي التغيرات الثقافية التي تشهدها عادات الزواج بمدينة نالوت منذ سنة 1950 حتى الآن؟

2- أهداف البحث

الهدف من إجراء البحث هو التعرف على عاداتها بإحدى المدن الليبية وهى مدينة نالوت، وما صاحبه من تغيرات طرأت على بعض عاداته وتقاليده فيما يتعلق بظاهرة الزواج.

3- أهمية البحث

1.3- ندرة الدراسات التي تناولت موضوع تغير عادات وقيم الزواج في مدينة نالوت، فهذا بحسب علمي يُعدّ الأول من نوعه.

2.3- يعد هذا البحث إضافة علمية جديدة تضاف إلى حصيلة المعارف في ميدان علم الاجتماع العائلي، والتغير الاجتماعي الخاص بموضوع الزواج بإحدى مدن المجتمع الليبي، وما يرتبط به من عادات وتقاليد وممارسات.

3.3- يشكل هذا البحث حافزاً لإثارة اهتمام الباحثين الآخرين لبحث موضوع التغير الاجتماعي الخاص بنظام الزواج في مدينة نالوت ميدانياً، وتناول متغيرات أخرى لم يتناولها هذا البحث.

4- حدود البحث المكانية والزمنية:

يقتصر هذا البحث من حيث الحدود المكانية على سكان مدينة نالوت، أما من حيث الحدود الزمنية فإن هذا البحث يتناول عادات الزواج بمدينة نالوت، وما طرأ عليها من تغير خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن الماضي 1950 وحتى وقتنا هذا.

5- مصطلحات البحث

1.5- التغير الاجتماعي: يشير إلى تلك العملية المستمرة، والتي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية، أو في المؤسسات أو التنظيمات، أو في الأدوار الاجتماعية[3].

2.5- التغير الثقافي: هو عبارة عن التحول الذي يتناول على التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون والعلوم والفلسفة والتكتيك، كما يشمل صورة وقوانين التغير الاجتماعي نفسه. كما يشمل فوق كل ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي[4].

3.5- الزواج:

هو عبارة عن علاقة شخصية جداً بين فردين مستقلين لكل منها فرديته المتميزة هما الرجل والمرأة[5]. وتعرفه "سناء الخولي "بأنه عبارة عن نظام اجتماعي يتصف بقدر معين من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية، وهو الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية[6].

4.5- الأسرة:

هي الخلية الاولى في تكوين البنيان الاجتماعي[7].

ويمكن القول بأن الأسرة هي وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة، تربطهما علاقات روحية متماسكة مع الأطفال والأقارب، ويكون وجودها قائماً على الدوافع الغريزية والمصالح المتبادلة، والشعور المشترك الذي يتناسب مع أفرادها ومنتسبيها[8].

وكما تعد النموذج الأمثل كما سماه (كولي) الجماعة الأولية، ويقصد بها الجماعة الصغيرة التي تتميز بالارتباط والتعاون المتسمين بالود والقرب، والمواجهة، والأسرة جماعة أولية لأنها الوسط الذي يتعلم الفرد في إطارها الأنماط السلوكية التي تحدد ما سوف يكتسبه فيما بعد في الجماعات الأخرى[9].

5.5 العادات الاجتماعية:

"العادة في اللغة العود، وهو تجربة الشيء مرة بعد مرة حتي يصبح مألوفاً"[10].

وتشير أيضاً إلى السلوك المتكرر، الذي تفرضه الجماعة على الأفراد ونتوقع منهم أن يسلكوه، وإلا تعرضوا لاستياء الجماعة، وسخطها وانتقامها[11].

6.5- القيم الاجتماعية:

هي تصورات للمرغوب، تتعلق بضرب من ضروب السلوك أو غاية من غايات وتسمو على المواقف النوعية، ويمكن ترتيبها بحسب أهميتها النسبية[12].

وتشير أيضاً إلى مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي، والتي تمثل موجهات للأشخاص نحو غايات، أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية، ويختارها، ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلاً لغيرها، وتنشأ هذا الموجهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي، والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة[13].

7.5- العادات المصاحبة للزواج:

1.7.5- الخطبة: خطب المرأة خطبا وخطبة. ويقول: المخطوبة واختطبوه: وعودة إلى تزويج صاحبتهم[14].

والخطبة طلب التزوج والوعد به، ويحق لكل من الخاطبين العدول عن الخطبة، فإذا كان العدول لمقتضى فله أن يسترد ما أهداه للآخر عيناً أو قيمة، يوم القبض مالم يكن هناك شرط أو عرف يقضى بغير ذلك، إذا سبب العدول عن الخطبة ضرراً تحمل المتسبب فيه التعويض عنه[15].

2.7.5- سن الزواج:

يقصد به في هذا البحث الفترة المؤهلة والمفضلة لزواج الشاب أو الفتاة.

3.7.5- أسلوب الاختيار للزواج:

ويقصد به الأسلوب المفضل للاختيار، من حيث تدخل أشخاص آخرين من غير الذين يعنيهم الأمر "أي شريك أو شريكة المستقبل" في عملية الاختيار للزواج.

4.7.5- دائرة الاختيار للزواج:

يقصد به هو المجال السائد أو المفضل لاختيار الشريك منه خطيبه أو الخطيب، أهو من الأقارب، أم من غيرهم، أي خارجي أو داخلي[16].

5.7.5- الزواج الداخلي "الآندوجامي":

وهو نظام يفرض فيه على الشخص أن يتزوج من داخل الجماعة التي ينتمي إليها اجتماعيا، أو قرابة، أو دينياً، أو جغرافياً.

6.7.5- الزواج الخارجي "الأكسوجامي":

وهو النظام الذي يتيح لأفراده الزواج من خارج جماعتهم الثقافية، أي من أولئك الذين لا يشتركون معهم في الأصول العرقية، أو الدين، أو المركز الاجتماعي[17].

7.7.5- المهر:

يقصد به في هذا البحث هو هبة وهدية شيئاً رمزياً يهدف إلى غايات إنسانية سامية.

8.7.5- مراسيم الزفاف:

المقصود به في هذا البحث حفلة "العرس" والتي تُعدّ شرطاً ضرورياً لإتمام الزواج، وهذا الأمر شائع في المجتمع الليبي، وإن اختلفت صوره وأشكاله، ويمثل جانبين أحدهما ديني ويتمثل في عقد القرآن، والثاني اجتماعي وهو الاحتفال الذي يلي عقد القرآن[18].

ثانياً: نبذة مختصرة عن موقع مدينة نالوت

تقع مدينة نالوت أو لالوت في النهاية الغربية لجبل نفوسة، ويقال أن اسم لالوت كان يطلق على قريتين شرقية وغربية، و تعني هذه الكلمة في إحدى اللهجات الليبية القديمة عين الماء، وتبعد نالوت عن العاصمة طرابلس 285 كم باتجاه الجنوب الغربي، وهي غربي جادو. تبعد 110 كم على الطريق الجبلي، وتبعد عن مركز مدينة ذهيبة التونسية 40 كم. وتعدُ نالوت من أكبر مدن النطاق الجبلي، وهي آخر هذه المدن من ناحية الغرب، وترجع أهميتها بصفة خاصة إلى موقعها على طريق القوافل بين الساحل والصحراء، ولقربها من الحدود التونسية، وقد ازدادت أهميتها بعد إتمام الطريق الذي يصلها ببلدة الجوش، خصوصاً بعد أن تم توصيل هذا الطريق إلى زواره على الساحل، وأما بالنسبة إلى موقع نالوت على خطوط العرض والطول فإنها تقع على خط عرض (31.52) درجة، خط طول (10.59) درجة[19].

ثالثا: ديموغرافيا مدينة نالوت

يرجع أصل سكان نالوت إلى أصل بربري أو (شعب أمازيغي)، الذي نزح إلي ليبيا من اليمن وأوروبا، وانتشر في ربوع ليبيا، وخاصة الجهات الشمالية ومنها جبل نفوسة، ونزوح الجنس البشري إلى ليبيا في عصور متفاوتة، كما أن لأهالي نالوت تراث ثقافي مثل العادات والتقاليد واللغة البربرية المتميزة بذاتها المعروفة منذ القدم، واللغة البربرية أذابها الشعبية والعلمية المعتمدة على المشافهة والتخاطب، وبحيث سكانها يتكلمون باللفة العربية، وبالإضافة إلى الأمازيغية[20].

وهي ذات كثافة سكانية بالنسبة مدن الجبل، وتعرف عند سكان الجبل وقت ازدهار الحضارة الإسلامية بمدينة (الأشياخ)، لكثرة ما أنجبت من علماء وفقهاء[21].

ويسكنها قبائل منقسمة على قسمين بحسب انقسام المحاميد الشرقيين والغربيين، ونالوت (اللوطين) هم: أولاد الدير، القرانزة، الرقائقة، ظراري شيخ سليمان، البغانة، وهؤلاء من سلالة أولاد داوود فرع أولاد الحارة بفساطو[22]، وعساكره: أولاد يحي ينحدرون من قبيلة أولاد عمر بككلة، وهي من عرب المحاميد، والعزابه،: ذراري إبراهيم، ذراري أبوبكر، الناميون، ذراري عمر، أولاد بن عون الله: أولاد ابن عون الله، وأولاد سعود وهم فرع من قبيلة أولاد عون الله في التوازين بين قردان قبيلة عربية. والقسم الثاني منها تعرف قبائل نالوت الفوقيين وتضم قبائل: المقادمه وهي قبيلة من قبائل الحجاز، كتب عنهم علامة الجزيرة أحمد الجاسر، والمطاوعية، الزكاري، الخمائسية، الفلافلة، وأولاد إبراهيم: تضم الصواوية، المشايخ، ولحمة الزكاري من قبيلة عرب أولاد سليمان، ولحمة بن كافو عرب من الحرابة. وعائلة الدغاغرة: عرب من ورغمة بالجنوب التونسي من قبيلة الدغاغرة. وعائلة الكسير: عرب من الجنوب التونسي وعائلة سعد الشهيدي: عرب من أولاد شهيدة بالجنوب التونسي، وعائلة بن دلة وهم عرب من السبعة أخوة المحاميد[23].

وهناك تقسيم آخر لهذه القبائل في العهد العثماني، إذا أن بعضها كان يتبع حلف أو صف يوسف، وبعضها الآخر صف شداد، فقبائل نالوت اللوطية كانت تتبع صف شداد، وقبائل نالوت الفوقية كانت تبع صف يوسف، مع أن هذه القبائل كلها تنتمي إلى مدينة واحدة.

ومن قبائل نالوت ننتقل إلى عدد سكانها: فأقدم إحصائية تعود إلى سنة 1910، وقد قامت بها الإدارة العثمانية في ولاية طرابلس الغرب، وكان الإحصاء يشمل بالإضافة إلي نالوت كل من وازن، والغزايا، وأولاد محمود، أي ما يعرف باسم قضاء نالوت، وقد بلغ عدد سكانها هذا القضاء (14400)نسمة، وفي سنة 1954 بلغ عدد سكان مديرية نالوت (6425) نسمه منهم (3383) من الذكور، و(3640) من الإناث.

وأما متصرفية نالوت بمديرياتها الست وهي نالوت، والحرابة، وكاباو، وتيجي، والجوش ووازن، بلغ عدد سكانها (20857) نسمة. وأما وفقاً لتنظيمها الإداري فقد بلغت وفقاً لإحصاء سنة 1984 ما يقارب من (40000) نسمة[24].

وأما في السنوات القليلة الماضية أصبح عدد سكان مدينة نالوت كما موضح في الجدول رقم (1)

السنة	الأسر	ذكور	إناث	المجموع
2006	3969	10119	10033	20152
2010	4636	11041	10827	21868
2015	5353	11759	11433	23192
2018	5811	12647	12258	24905
2020	6153	13206	12803	26009

المصدر: مكتب الإصدار السجل المدني نالوت

ومن الملاحظ أن سكان نالوت قديماً كان يسمى بقضاء نالوت، ويشمل كلا من الغزايا وأولاد محمود ووازن، ومن ثم أصبح يسمى بمتصرفية نالوت، ومدرياتها الست وهي نالوت، والحرابة، وكاباو، وتيجي، والجوش ووازن. في حين الوقت الحاضر أصبح عدد سكان نالوت يقتصر على السكان الفعليين في المدينة فقط.

وكذلك يلاحظ من الجدول إن الزيادة السكانية في هذه المدينة يرجع إلى الزيادة في عدد حالات الزواج، وهذا ناتج عن تحسين الأوضاع الاقتصادية.

وتُعدّ مدينة نالوت على رغم موقعها الجغرافي الذي يقع بعيداً عن البحر مما جعلها تعد من المدن الداخلية كبقية مدن جبل نفوسة، إلا أن لها حضوراً على مستوى الدولة، فقد كانت إحدى المحطات المهمة في تجارة القوافل، ولعب موقع نالوت كوسيط للتجارة بين مناطق الداخلية، وموانئ شمال أفريقيا على البحر المتوسط. دول حوض البحر المتوسط. وكان سكان مدينة نالوت يهتمون بالزراعة والرعي، وتقوم النساء بمساعدة الرجال في زراعة الأرض، وتربية المواشي إلى جانب عمل البيت، كما كانت تقوم بالأعمال اليدوية الأخرى كالغزل، والنسيج التي تحتاج إليه الأسرة الاستعمال الشخصي أو البيع.

أما الآن فقد اكتسبت المدينة خصائص المراكز الحضرية، نظراً لما يتمتع به سكانها من خدمات ووظائف اقتصادية، واجتماعية، وثقافية وترفيهية. مثل (انتشار التعليم

بمختلف مراحله إذ تعد أكثر من 25 مدرسة على مختلف المراحل، بالإضافة إلى وجود جامعة نالوت بمختلف كلياتها، وتضم حوالي سبع كليات بمختلف تخصصاتها، وإضافة إلى المستشفيات والعيادات الخارجية، وانتشار وسائل الاتصال والإعلام، والإذاعة المسموعة، والملاعب وصالات الرياضية، وصالة بناء الأجسام، والمكتبات العامة، والعديد من المحلات التجارية، ومراكز الشرطة، والمحكمة الابتدائية والجزئية، ومديرية الأمن، والعديد من المراكز الحضرية.

كما يؤكد علماء الاجتماع بأن المدينة تتحدد أهميتها بوظائفها وليس بكثافتها السكانية، فهذه المدينة اكتسبت هذه الخصائص الوظيفية (التجارة، والزراعة، والرعي)، مما جعل منها مركزاً حضرياً.

ويتصف المجتمع النالوتي التقليدي بقوة العلاقات الاجتماعية بين أفراده، وخاصة في المناسبات الاجتماعية المختلفة، حيث توجد الأسرة الممتدة التي تضم الآباء والأبناء والأجداد والأعمام، بحيث يمكنهم العيش في مسكن واحد، تربطهم علاقات اجتماعية وعاطفية قوية، كما أن السلطة تركز في يد كبار السن.

رابعاً: عادات وقيم الزواج بمدينة نالوت في الماضي

يعد الزواج ضرورة اجتماعية وواجباً دينياً وفقاً لما هو مقرر في الشريعة الإسلامية. فالزواج هو ارتباط الرجل بامرأة أو أكثر. لتكوين الأسرة، ومصدر استقرارها بوضعها النواة التي يقوم عليها المجتمع، وتختلف أنماط الزواج من مجتمع إلى آخر؛ ورجع ذلك لاختلاف في العادات والتقاليد، والثقافة السائدة التي تتوارثها الأجيال المتعاقبة، ولم تصمد بعض هذه العادات والتقاليد أمام التغيرات التي تحدث في كل جوانب الحياة بصفة عامة، وثقافات الزواج بصفة خاصة، والتي تختفي وتتغير لتتخذ صوراً جديدة لم تكن موجودة.

لقد كان الزواج في الماضي يتم في سن مبكرة داخل العائلة الواحدة من الأقارب أو من داخل القبيلة، كما كان الاختيار للزواج من اختصاص الوالدين وكبار السن من الأسرة،

ولم يكن للشاب أو الفتاة رأي في موضوع الاختيار، فما عليهما إلا قبول ما اختاره لهما الأهل من شريك للحياة، وتحديد موعد إتمام الزواج.

فالمجتمع النالوتي كان يؤيد فكرة الزواج الداخلي، بحيث لا يزوجون أبناءهم إلى القبائل الأخرى، وإنما الزواج يتم من داخل القبيلة الواحدة فقط ؛ ولذلك قلة نسبة الإناث إلى نسبة الذكور، بمعنى أن الفتاة منذ الصغر يتم تسميتها إلى ابن العم أو ابن الخال وهكذا. إذ إن نوع الزواج السائد في المدينة هو من النوع المغلق، ونمط الزواج المفضل هو الزواج الداخلي؛ ويعود ذلك لإسباب منها: العصبية القبلية: حيث يضمن الزواج ببنات العم أو القريبات بالدم. ترابط العائلة ووقوفها صفاً واحداً في المنازعات الداخلية والخارجية، كما يساعد على توسيع القبيلة أو اللحمة ذات الدم الواحد المؤلفة من أسر عديدة، وهناك أيضا أسباب اقتصادية إذا يضمن بهذا الزواج حفظ الأملاك والأراضي في العائلة الواحدة، وتجنب دفع مهور مرتفعة[25].

فالعادات والتقاليد تلعب دوراً مهماً في عملية الزواج ؛ فمازال القول المأثور ابن العم أولى من الغريب (للدلالة على أحقية ابن العم بابنة عمه)، ونظراً لأن كبار السن والآباء يمتلكون ثروة الأسرة، فلا يستطيع الأبناء تحمل تكاليف الزواج؛ مما يجعلهم يقبلون بما اختاره لهم الوالدان.

ويصاحب الزواج عادات وتقاليد ومراسيم وطقوس، وأن العادات والتقاليد الاجتماعية بمدينة نالوت لا تختلف كثيراً عن بقية المدن الليبية. لأن القرابة تسهم ولو بشكل نسبي في الضبط الاجتماعي، كونها من الدعائم الأساسية التي تحدد سلوك الأشخاص.

ويؤكد أهل المدينة على أصل المرأة وشرفها، وينظر شباب المدينة إلى النسب الذي تنتمي إليه الفتاة، وإلى وضع أهلها الاجتماعي، وإلى سمعتهم بين العائلات الأخرى، أما من الناحية الاقتصادية والجمالية للفتاة فهي من الأمور الثانوية.

ومن هنا حرصت الأسرة على إقامة طقوس الزواج التي تمر بمراحل منها: الخطبة، المهر، عقد الزواج، مراسيم الزفاف.

1- الخطبة:

هي أولى مراحل تكوين الأسرة، ولا يخلو زواج منها.

معني الخطبة: جرت عادة الناس دائماً أن يقدموا على عقد الزواج أموراً تمهد له، كما هو الشأن في كل العقود التي لها أهمية في حياة الإنسان العملية، فمن هذه الأمور الخطبة، وهي إظهار الرغبة في الزواج بإمرأة معينة، والإفضاء بهذه الرغبة إلى المرأة أو من يمثلها ، فإذا أجيبت هذه الرغبة من جانب المرأة أو من يمثلها تمت الخطبة بينهما، فهي درجة متوسطة بين التفكير في الزواج وإبرام العقد، وهي أول عمل شرعي تتوج به المباحث الأولى التي تسبق هذا العقد(26).

وفي مجال الخطبة للأبناء فمن واجبات الأب أن يكون ملزماً اجتماعياً بتزويج أبنائه، ورعاية الأسرة مادام الابن مطيعاً له، ففي هذا الجانب فإنه عادة ما كان الأب والأم وبعض الأقارب هم المسؤولين عن اختيار الشاب أو الفتاة المناسبة للزواج، وما على الأبناء أو البنات إلا القبول بهذا الاختيار، حيث إن الزواج من الأقارب له أثر كبير، فقد كان يتغاضى فيه عن بعض المعايير والشروط التي ترتبط بالخطبة(27).

الخطبة في الماضي كانت تمهد لها النساء حتى إذا وقع التراضي تدخل الرجال في شأنها، أو بواسطة الرجال يعلن عنها، وقد لا يسبق الخطبة التعارف بين الخطيبين، وتتم الخطبة الرسمية عن طريق أم الشاب المقبل على الزواج، وتختار من بين القريبات من يصلح للزواج، وتكون أهم معايير الحكم على الصلاحية الفتاة كزوجة هي رزانة العقل، والاحتشام والخجل، وحسن الخلق وسمعة العائلة، وأخلاق أبنائها، ومن ثم إتقان الأعمال المنزلية كالحرف، والصناعات، وأهمها الغزل الصوف والنسيج، ويكون آخر معيار وليس أقلها أهمية هي جمال الفتاة.

ويشير "سليمان يحمد إلى" إن في بعض الأحيان لا يتدخل الوالدان في اختيار الفتاة، وإنما يختار الشاب بنفسه الفتاة من بين الفتيات اللاتي وقعت عينه عليها، وخاصة في مناسبات الاعراس حين تقام ليالي الطبل و(الزكرة)، ومن ثم يرسل (الخادمة) إلى أهل الفتاة رغبة في خطبتها إذا لمسوا منهم الاستجابة، من ثم يوحي الشاب إلى والديه أو أحد

قريباته رغبة في خطوبة الفتاة وذلك الاختيار لا يكون نهائياً إلا بموافقة الأب؛ لأنه هو صاحب الكلمة في اختيار الفتاة المناسبة.

2- المهر:

يُعدّ المهر شرطاً من شروط الخطبة الأساسية، وتختلف قيمته وشكلة من مجتمع إلى آخر. فقد يكون عينيا (ملابس – حلي – مواشي)، وقد يكون نقدياً وقد يجمع بين العينية والنقدية معاً، وقديماً كان المهر بسيطاً وسهلاً، إذ كان عبارة عن قليل من المال وبعض الماشية. والمال متمثل قيمته في ربع دينار، إذ هناك فرق في المهر بين الفتاة اليتيمة ومهر الفتاة غير اليتيمة، إذ قيمة مهر اليتيمة 100 دينار وقيمة مهر غير اليتيمة ربع دينار.

3- عقد القرآن:

يتم عقد القرآن بعد موافقة الأسرتين على الزواج، ويحدد موعده وفقاً لاتفاقهما أيضاً، فقد يكون عقب الخطبة مباشرة، أو قبل العرس بأسبوع، أو أثناء العرس، وفي أغلب الأحيان يتم عقده يوم الدخلة. ويقوم بذلك شيخ في المسجد بقراءة شروط العقد ومفرداته التي تم الاتفاق عليها، ثم يقرأ الجميع الفاتحة، ويردد الوكيلان ما تلاه الشيخ من عبارات وألفاظ يتخللها الدعاء بتوفيق الزوجين وإنجابهما ذرية صالحة، ثم يحرص الشيخ على كتابة العقد، وتوقيع الشهود، ويوقع على العقد كبار المدعوين، ذلك تأكيداً لإشهار العقد، وتقديراً للأسرة الزوجين. ومن ثم يدُعى الشيخ إلى الخطيب أثناء وقت الغذاء، ويتناول جميع المدعوين وجبة الغذاء المعدة لهذا الغرض.

4- مراسيم الزفاف:

لم نجد تاريخاً حقيقياً لبداية أعمال العرس في بلدة نالوت وإقامته، وكل ما توصلنا إليه أن العرس خلال العهد الإيطالي (عام 1911 وما بعده) كانت نفقاته بسيطة لبساطة حياة أهل البلدة، ومراعاة حال فقرائها وضعاف الحال فيها، فتشابكت أيديهم، والتقت قلوبهم، وأقاموا أفراحهم بما يقدرون عليه[28].

يبدأ العرس النالوتي فعلاً عشية يوم الأحد بعد التجهيز والأعداد لعدة أيام سابقة، وينتهي يوم الأحد المقابل، وفي ذلك إشارة إلى أن التوقيت عادة مسيحية.

ويقمن النسوة من أهل العريس بتنقية القمح وتنظيفه لإعداد بسيسة البيان، أو ما يطلق عليه (طومن) الفتوح لتحضير العرس، ثم يطحن في الرحي (تاسيرت)، وتقوم عدد 2 من النساء بطحنه مع أغاني (بوطويل) نذكر منها:[29]

صلى الله على الهادي صلو على النبى.

النبى صلى الله على الهادي النبى

الهادي الرسول صلى الله على الهادي الرسول صلى الله الله

الهادي الرسول بابا فاطمة صادق

انقولوا على الله الله على الهادي

وبعد غربلة الدقيق المطحون (القمح) تصنع مجموعة أخرى من النساء وجبة الغداء، وهو عبارة عن بازين، حيث تذبح شاه لصنع الغداء مع الأهل المقربين جداً والجيران، وبعد الغداء تستعد النسوة لصنع وخلط البسيسة (طومن)، وهي علامة عن بدء لتحضير العرس تعجن بزيت الزيتون، وتوضع فيها حبات من التمر، في (القصعة)، وهي من خشب، وتأخذها الخادمة (لالة)(*) إلى بيت العروس، وهذه دلالة على الاستعداد للفرح، وكأنها رسالة من أهل العريس إلى أهل العروسة، بتحديد موعد العرس[30]

ويرتبط بمصطلح آخر هو (إيجباد)، ويعني إشعار للناس بأن العرس قد تقرر إقامته واستمراره في موعده الموحد، ولو وقعت حالة وفاة فإن العرس لا يؤجل، بل باقٍ في موعده[31].

ويتم بعد ذلك طحن كمية كبيرة من دقيق الشعير لإعداد وجبة البازين، وهي أهم وجبة يعتمد عليها في العرس، ومن ثم يدهن بيت العرس بالجير، وهذا البياض الناصح يدل على التفاؤل به، وإحضار الحطب من الصحراء لعمل وجبة الفتات (الشرشي)(*)، ويوم الخميس قبل العرس تعجن (اللوسة) المعجونة، وهي فلفل أحمر يحرق في الزيت ويطحن ثم

(*) هي الخادمة: ذات البشرة السمراء.

(*) الشرشي: أكلة شعبية عبارة عن رقائق مصنوعة من الدقيق.

يضاف إليه البصل (الحريقة)، وقليل من الطماطم، وتوزع اللوسة على الجيران، وتعد (بطاقة وعزيمة)(**) لحضور العرس.

- **يوم الأحد:**

يبدأ الأهل بالقدوم وتخرج العروسة من بيت أبيها إلى بيت أحد أقاربها مع صديقاتها متبوعة بأهازيج الغناء والطرب، حتى يأتي أهل العريس ويحضرون (إيسال)(***).

ومع تمام صلاة العصر يأتي الأهل والجيران والأحباب، لأن فيما سبق تم التوزيع عليهم البسيسة واللوسة، والتي تعني بداية الاستعداد للعرس، أي بسيسة الفتوح (طومن إيجباد) كل من تصل إليه قليلاً من هذه البسيسة يعني أنه مدعو للعرس، ويجتمع الناس في البيت المدهون بالجير والحطب المكدس أمامه.

تقام السهرة في الليل بين أهل العريس بالتوصيل لأهل العروس ما يسمى (إيسال)(****) وهي عبارة عن (سبيزة) تامة من التموين والخرفان، والأردية، والملابس، والأحذية وغيرها، وتتصرف بها أم العروس بتوزيعها على أهل العريس والحاضرين[32]، وفي الليل بعد السهرة في بيت أهل العروس يضعون الحنة، وهي عبارة عن ورق الحنة التي تطحن في الرحي، وتعجن بالماء وتحنى بها النساء – أي تخضبت النساء يديها وأرجلها.

- **يوم الأثنين:**

تجهز النساء في الصباح الباكر الخبزة المرفوسة والشاي، ويتم ترتيب البيت، وإعداد وجبة الغداء، وبعد هذه الوجبة تلبس العروس لبسة لونها بنى أو أحمر داكن. يأتي على تمام الساعة الثالثة أهل العريس في موكب مصحوب بنسوة يلبسن الحلي وأحلى الملابس لديهن، مع ارتداء فوقه الجرد النالوتي، والحذاء الطويل بالجلد المزركش، ويكون هناك عدد 2 من

(**) بطاقة عزيمة: هي كل من تصل إليه اللوسة هو معزوم على العرس يعني بطاقة دعوة الحضور.

(***) إيسال: عبارة عن مجموعة من الملابس منها ملابس العروس والأم والأب ومجموعة من المواد الغذائية وعدد من الخرفان وعدد من الأردية.

(****) (ايسيال) عبارة عن كسوة أو (سبيزة) تامة من ملابس ومواد غذائية.

النسوة من الأقارب وأخوات العريس وعماته وخالاته، ويرتدين فضة تامة من التمائم (تدلالين)(*****) والشعرية والقلايد وتاونزاء(*)، والمكلل، والمحلب، ولابد أن يكون العدد زوجي وليس فردي(33)، ويصل الموكب لبيت العروسة، تتقدمه (الخادمة)، وهي امرأة سوداء البشرة تحمل فوق رأسها قصعة البسيسة (طومن)، و(القفة) يحملنها النساء اللاتي لبسن الفضة والظفرة (الحنايات)، ويقفن في مدخل البيت، ثم يأذن لهن بالدخول، وتكون العروسة مغطاة بالجرد النالوتي وبجانبها عدد من النساء القريبات لها من أهلها(34).

بعد إدخالهن العروسة يجلسن في وسط الحجرة بعد أن يحضر لهن المهراس لتدق (الحنايات) الحنة الورقية، ثم تغربل جيداً وتعجن بالماء والسواك المنقوع فيه، مع أهازيج الغناء بو طويل:

على النبي صلوا الله الله على الهادي صلوا على الهادي "" مدي أيدك للحنة ياحنية """ غير شبحتك تملأ عينينا """ قالت أمك يا بنتي مصرع مشيتي ""وفي الحوش من خليتي """ قالت أمك يا حنة وجميلك مدا لنا "" والخيل قمر يستنا "" قالت أمك يأم السوار "والدمع قطار " والمر في فمك يحلاو."

وتوضع الحنة في يديها اليمنى ورجلها اليمنى، ثم اليد اليسرى والرجل اليسرى، وبعد نصف ساعة تمسح بقطعة من الجرد المصبوغ بالأحمر (الدباغ)(**) من يديها ورجليها، ثم تخرج العروس مع نساء قريبات من أهلها تحت مظلة من القماش الأبيض أو الجرد تسمى (تبربورت) (***).

(*****) تدلالين: عبارة عن التمائم المصنوعة من الفضة الخالصة.

(*) تاونزاء: المكلل الذي يوضع على الجبهة.

(**) الدباغ: عبارة عن قشور من جذور نبات الجداري توضع على الأشياء المراد صبغتها باللون الأحمر.

(***) تبربورت: عبارة عن قطعة من القماش الأبيض توضع فوق موكب العروسة.

وتلتقي في فناء البيت مع أهل العريس، وتعلوا أصوات الفرح والأغاني والزغاريت، وهي: على النبى صلى الله على الهادي صلوا على النبى، ثم زغروتة طويلة كل النساء مع بعضهن. أغاني للبربوراء وهي:

محلاها أيام العرس والبربورا"" وين التريس يتبعوا البربورا"" أه يا ولد إتهموني بيك "" اخبر نشكيلك راهي الحياة والموت عليك "أه يا ولد بارد الدوة "" حبلك على توا "" شفيت فيا صاحب السوء "" وين تريس العرس والبربورا "" عقابه في تيجي وإلا في تاجوراء "" ليلي على خالي حدر جفاري طط" حذروا دموعة جلالي". ثم تقوم (الحنايات) (****) بثني رجل العروسة اليمنى، وتربط بقطعة من القماش وتوضع على القفة التي أحضرت من بيت العريس سبع مرات، ثم يأتون بطفل (ذكر) ويوضع فوق القفة، ويفضل اسم الطفل محمد، وهذا تنبؤ بأن يكون طفلها البكر (ذكراً).

وأما بالنسبة إلى القفة(*) مصنوعة من نبات الحلفة، وتكون مملؤة بأكياس للمواد من العطار، وتلف بقطعة من الطعمة (أولمان)، وتلبس بسروال العريس دلالة على أن الرجل هو المسؤول عنها، ويريد امرأة ذات صنعة ومنعة، تدخل العروس إلى غرفة ويضعن النساء بجانبها القفة، ولا يقترب منها أحد، وتبقي كما هي حتي اليوم التالي.

- **يوم الثلاثاء:**

يعد في الصباح الفطور كالمعتاد الخبزة المرفوسة مع الشاي، والبخور يوضع في كل وقت في المبخرة، وفي الضحى يحضرن القفة (تسونيت) التي بجانب العروس، وتتقدم أكبر سيدة في الأسرة ومعها الخادمة، ويقمن بفتح القفة، ولابد من إحضار مجمرة لوضع البخور فيها، وتعطي الحلوى للصغار واللبان للنساء ويتفرجن عليها وعلى ما تحتويه. وتخرج الأشياء السوداء مثل السعد (تموساي) قماري بخور والسواك (اشكلا)، وتحرق هذه الأشياء جيداً وتوضع في قطعة قماش لونها أحمر، وهذه المواد من مكونات المحلب (السخاب)، أما

(****) الحنايات: عدد من النساء إثنان أو أربعة يلبسن المكلل والمحلب ويظفرن شعرهن بالتمائم باكنسه ومخضيات.

(*) القفة (تسونيت): عبارة عن كيس كبير مملؤة بالمواد العطرية ويتم شراؤها من العطار.

الغداء فيكون كسكسي، ويأتي به من بيت العريس. وبعد صلاة العصر فيكون مباشرة يأتي موكب أهل العريس، وتتقدمه الخادمة والحانيات، وتلبس النسوة أحلى ما لديهن من ألبسة والفضة، والشعر المضفور بالجدرة (تفرشيت) مع الغناء والزغاريد. ومن ضمن الأغاني هي: هذا النهار اللي نبيه """ محمد حاضر لي فيه "" هذا النهار عليه ندور """ فم الحوش ربيع منور """ هذا نهاري هذا نهاري """ نديروا عروسة للغالي.

تسير في مقدمة الموكب المرأة الخادمة وهي تحمل مبخرة وتضع البخور فيها ويدخلن النساء من أهل العريس مع نساء أهل العروسة، وبعد استقبالهن يوضع أمام العروسة مهراس، وتلك المواد التي أحضرت من القفة المربوطة جيداً في الخرقة الحمراء، وتخلط تلك المواد وتدق في المهراس جيداً حتي نحصل على عجينة، ويضاف إليها القليل من الماء المنقوع فيه السواك، ثم تضاف إليه قطرات الزيت، وتشكل منه سبع حبات على هيئة دوائر، والباقي يتم تقسيمة على نصفين. نصف لأهل العريس، والنصف الآخر لأهل العروسة، وإذا كان معجون المجلب رطب وفيه زيت فهذا دلالة على أن العريس هو صاحب رزق، وتبدأ أساليب المدح من أهل العريس لعريسهم بأنه صاحب جود وكرم.

سخابك يأشم البحر يتندى """ تفوح رحيتك وتتفكر الجدة

راسي حلف ما نظفره بالجدرة "" كاش اللي نعرفه ونقدرة "" من يهز السخاب بشلاشيه """ ولا ناض قفصون البلاد ريته """

وعندما تخرج نساء أهل العريس تتقدم أم العروسة إلى الخادمة وتعطي لها سبع فطائر من الخبز (فطاحات)(*) في خرقة حمراء، فترجع بهم الخادمة إلى أم العريس، فتعمل على تقطيعهم على شكل قطع صغيرة، وتغمس بزيت الزيتون وتوزع على الأهل وسط أهاليل التهليل والزغاريد.

- **يوم الأربعاء:**

يستعد أهل العريس لإعداد وجبة الغداء (البازين)، وهو عبارة عن أكلة تتكون من دقيق الشعير، ويعجن بخميرة (والخميرة تصنع من الدقيق المعجون بالماء والملح، وتترك

(*) فطاحات: عبارة عن فطائر الخبز المصنوع من الدقيق.

لمدة أسبوع أو أكثر حتى تختمر جيداً) ويوضع في إناء كبير جداً، وفي الصباح الباكر يقمن مجموعة تتكون من سبع نساء بعملية العجن، ثم تكرر عملية العجن مرة أخرى، ويغطى بقطعة من القماش النظيف، ثم توضع في القدر ماء يطبخ وتوضع به قطع من العجينة على هيئة أقراص تسمى (تودجا)، ويطبخ في القدر، ثم يخبز جيداً عندما يكون جافاً، ويضاف إليه من الماء المطبوخ الصفاية (توكربيزت)، ويقلب ويخبز ويعجن جيداً البازين من قبل النساء الماهرات المحترفات، ويوضع في إناء (قصعة) كبيرة من الخشب الصلب، ويشكل على هيئة هرم وسط القصعة، ويزين بالبيض المطبوخ وسط أغاني وزغاريد.

يوضع بعض الحساء وهو عبارة عن شرائح طماطم، وقديد، وبصل، ويحلي بالقديد، أو بعض من دهن العيد، ثم يخثر بالصفاية (توكربيزت) يتقدم اثنان من الرجال ليحملوا هذه (القصعة) إلى الرجال، ويتم تقديمها كوجبة غداء من طرف أخت أو عمة العريس كهدية للعريس.

وفي الليل: يبدأ الاستعداد لحنة العريس في وسط الأغاني: سالف معنى جدرته مخلوطة """ معنقر كبوس بو شبشوبة """ يأتي العرس مع اثنين من أكبر الأصدقاء، ومجموعة من الشبان، ويرفع العريس يده اليمنى ويوضع عليها الحنه في إصبعه من قبل الحناية، ثم توضع الحنة في (قصعة) ويوضع عليها أربع بيضات غير مطبوخة، وتأخذها الخادمة من أهل العروسة إلى بيت أهل العريس، وتقسم والدة العريس تلك الحنة، وتقوم النسوة بالحناء وتوزيعها على الأهل والجيران مع الأغاني والزغاريد.

- **يوم الخميس:**

يبدأ الاستعداد لوليمة الفتات (شرشي)، وهو عبارة عن دقيق معجون بالماء ويخبز على شكل رقائق، وتطرح هذه الرقائق حتى تجف، وتخبز على الحطب، وتطبخ الخادمة الطبيخ المكونة من البصل، واللحم، والحمص، ثم توضع هذه الرقائق في (القصعة) وتدهن بالدهان، ثم يوضع فوقها اللحم والبصل والحمص، ويبعث إلى بيت أهل العروسة عدد خمس أو ست قصعات صغيرة يتغذى عليها أهلها وجيرانهم، بعد الظهر يتم الاستعداد لتهيئة الزير (جدوا) وذلك بوضع الحلي (الفجرة) عليه، ويضع له يدين، ويلبس فستان و(حولي) الحرير،

ويوضع عليه الفضة وهي جميع الحلي والفضة، وبعد أن يتم تزيينه يعرض على النسوة فيتفرجن عليه مع أهازيج من الأغاني والزغاريد والتصفيق. ومع غروب الشمس تنزع الفضة من (الزير) وتلبس للعروسة التي توضع وسط النسوة، وتكون مغطاة بالكامل، ثم يطلب منها أن تكشف عن وجهها ثلاث مرات، (تتجلى) بعد أن توضع لها مضلة (بربورة) وسط مجموعة من النساء القريبات من عمات وخالات ونسوة الأهل برفقة الخادمة التي تحمل (قصعة) من البسيسة (طومن والبخور، وأغاني أحضر يازين وكدس لمدح العروس وشكرها على ما قدمته في السابق مع أهلها، وتتقدم الموكب في وسط أهازيج من الغناء والزغاريد كنوع للتعجيل بالفرحة:

جحفة سعيدة راكبة تدرج """ ياقلب يامهموم تعال تفرج """ ياشوشان براء بيها """ اللي خاطري يبغيها """ حتي يصل الموكب إلى بيت العريس، وعند الوصول تكون أخت العريس أو عمته في استقبالهم بالأغاني: مرحبا يامرحبا بالمحبة والرضا """ مرحبا يا لافية بخشوش العافية """ مرحبا يامرت خوي يامعمرة حوش بوي """"

يكون الرجال العراسة وهم من الأصدقاء المقربين جداً للعريس، ومنهم رجال يجيدون الغناء، ويطلق عليهم الطلاب الذين يكونوا في صفين على اليمين واليسار، ويغنون أغاني تمدح العريس بماله، وأصله وجوده، وكرمه وجماله، وشخصيته، وقدرته على تحمل المسؤولية، وأنه شجاع وفارس، ومن الأغاني: هي يامبارك يأأأأأأ مبروك يامبارك يأأأأأأ مبروك يامبروك يامبروك اليوم """ واجعل علينا الفرح يدوم رو رو رو رو رو

يجعل نهارك يابابا""" جرة سحابة وحدر للوادي بشارة "" أأأأأ آه ياعريس أأأأأ آه ياعريس أأأأأ يا بابا خشيت الغابة وتي الحرير الشرابة آه يامبروووك آه ياعريس ياغالي """ آه ياعريس آه هذا النهار اللي في بالي آه يامبروووك

وهناك أغاني تُعدّ مدحاً وتشجيعاً للعريس على محفل قدوم (عروسة)، وهي مدح لموكبها: صقعوها بالكتان""" وحرير ألون """ وجابوها الفرسان "" وحطوها فوق السرير """ آه ياعرمة الجير وصبر الأميمة كيف تدير """ أه يازين.

بعد أن تتم إدخال العروسة إلى بيتها أو دارها (تزفانس)، وهي في الكلة (حجبة) ولا يراها أي أحد، بعدها يبدأون في تدريج العريس وسط أغاني يرددها الطلاب:

كبوس من تونس وعرقية """ جاء الغالي العزيز عليا """

- **يوم الجمعة:**

يتم الاستعداد لحضور خروج العروسة من بيتها، ويسلم عليها الأهل والأحباب، ويخرج العريس برفقة أصدقائه إلى خارج المدينة، ويتم توزيع الأدوار، يومياً لإعداد الغداء للعريس وأصحابه.

- **يوم الأحد:**

في الأسبوع الثاني للعرس في الصباح الباكر من يوم الأحد يسمه بالثالث (قاقول)(*) تقوم أم العريس بعجن عجين للخبز المخمر (تسممات) والأسفنز. و(تزبيتين)، وذلك مع قدر كبير من الشربة والحمص والعدس الأخضر، الذي يطبخ على الماء، ثم يصفى ويقدم مع لحم الرأس، وبعد أن يبرد وبعد الغداء تتجمع النساء وذلك ليجلب الهدايا للعروس، والخبز، والأسفنز، ويقدم أكداس كبيرة. ثم تقوم أم العريس أو عمته أو خالته باستقبال هذه الهدايا، وتقوم بإرجاع لكل امرأة عدد من الخبز المخمر والأسفنز، وقليل من العدس والحمص المطبوخ، وقطعة لحم حتي تصل هذه الهدية إلى كل بيت. ثم تلبس العروسة اللبسة المعروفة وهي الظفرة والمكلل وتجلس للصدرة في الوسط لتستمع أهازيج من الغناء والزغاريد من أهلها وأهل العريس.

والهدايا تكون عبارة عن سكر رشاد حجر، وباللغة الأمازيغية (أضفاغ)(*)، وتضع العديد من الأكياس من القماش تكون مملؤة بالشعير، والبقوليات، والأرز، والكاكاوية، والقمح.

وفي صباح يوم الاثنين تقوم العروس بحزم ردائها، وتضع وجبة الغداء، وهو الكسكسي، وبعد العصر تحضر أم العروسة إلى بيت ابنتها الجديد، وتحضر الغطاية (تغفايت) والعصابة (اكاي)، وتقوم أم العروس بصنع (بازين) بالقديد مع الشاي والكاكاوية.

(*) قاقول: إشارة إلى نهاية العرس.

(*) اضفاغ: عبارة عن قطعة من السكر على شكل هرم ذو أوزان كيلو، نصف الكيلو.

وتوزع أم العروس قطع من الغطاية (التقفايت)، والعصابة (اكاي) على النساء الكبيرات في العمر. وفي يوم الأربعاء يكون آخر يوم من أيام أسبوع العرس، حيث تقوم العروس وتتعرف على البيت وما يحتويه من مطبخ، وغرفة التخزين، وجميع جوانب البيت[35].

خامساً: عادات وقيم الزواج بمدينة نالوت في الحاضر

في الوقت الحاضر وبفعل عمليات التحديث والتغير والتنمية، أصبح الأفراد يشتغلون في الوظائف التي لها مردود اقتصادي أكبر من مردود الزراعة والرعي وانتشر التعليم، مما ساعد الأهالي على تعليم أبنائهم وبناتهم، وحصول الأبناء على الشهادات العلمية، والتي كان لها تأثير كبير على ثقافة المدينة، وتأثرها أيضاً بوسائل الاتصال المختلفة، وبصورة عامة يلاحظ في المدينة تغيراً ملموساً في الحياة الاجتماعية والثقافية، وقلة ضغوط العادات والتقاليد، كما كانت عليه في المجتمع التقليدي، مما نتج عنه تغير في العادات والتقاليد التي تقف في وجه التغير في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل الأسرة، حيث قلت سلطة الآباء، وأصبح الأبناء يتمتعون ببعض الحرية، مما أدى إلى استقلالهم النسبي مادياً عن الأسرة، كما حصلت المرأة على حقها في الدراسة والعمل مثلها مثل الرجل، فتغيرت النظرة إلى الزواج، وأصبح الأبناء اليوم يشاركون في الاختيار مع الأسرة، وبالرغم من التغير الذي شهده المدينة إلا أنه لا يعني أن هناك حرية كبيرة في عملية الاختيار للزواج، بل مازال للآباء آراؤهم في زواج أبنائهم، وفي اختيار شريك الحياة.

1- الخطبة:

إن التغيرات وما صاحبها من تحولات عميقة أدى إلى تغير في عملية الاختيار والخطبة، ولم تعد تقتصر على الأهل، بل أصبح للفتاة والشاب رأي في ذلك، ومشاركة الرأي مع الأهل، ولا تتم الخطوبة إلا بموافقة الشاب والفتاة، وذلك من خلال إجراء مقابلة شرعية لهما إذا وقع القبول تتم الخطوبة[36].

وقد اتسعت دائرة الاختيار ولم تعد تقتصر على القبيلة الواحدة فقط، بل تعداه إلى القبائل الأخرى، وأيضا البعض منهم لجأ إلى خارج المدينة من المدن المجاورة، والبعض الآخر اتسع أكثر إلى الدول الأخرى. كما أدى التغير في مركز المرأة وحصولها على حقها

في التعليم والعمل تغير في نوعية العلاقات بين الرجل والمرأة، مما أتاح للشاب والفتاة رؤية ومعرفة كل منهم للآخر عن قرب، وهو ما أدى إلى حدوث شكل من أشكال الحرية في طرق الاختيار للزواج. لقد حصلت تغيرات أساسية على نمط العلاقات داخل الأسرة النالوتية، فهناك أنشطة كثيرة انتقلت من الأسرة إلى جهات خارجية غير عائلية، حيث أصبح اهتمام البعض في الوقت الحاضر يتركز على محاولة معرفة نوعية مشاعر الأفراد من الجنسين نحو بعضهما البعض، وأي نوع من العلاقة يكون بإمكانهما إقامته، وأصبح هناك تأكيد أقل على المظاهر النظامية التقليدية، وأثر على المظاهر الشخصية للزواج والحياة الأسرية. فالشباب اليوم أصبح لا يستطيع الزواج إلا بعد اكتمال فترة دراسته، ثم البحث عن عمل مناسب، وبعض الشباب يطمح في مواصلة الدراسات العليا. وهذا لأن التعليم يوسع تطلعات الشباب والفتاة ويغير نظرتهما ورؤيتهما إلى الزواج وبناء الأسرة، ومن هنا فإن الشاب أو الفتاة لا يرضى أحد منها الاقتران بمن يكون أقل منه علماً، وثقافة، وذلك رغبة في تحقيق التكافؤ الاجتماعي، كما أن الجانب الاقتصادي يلعب دوراً كبيراً في رفع سن الزواج عند الشباب خاصة في ظل الضغوط الاقتصادية المتمثلة في نقص فرص العمل، وانخفاض الدخول وغيرها.

ومن هنا نرى التغير الملموس في عملية الاختيار للزواج والمتمثل في العديد من الأمور، كالتوافق العقلي، والعمر، والنواحي الجمالية، والصحية، والمستوى التعليمي، وكذلك من ناحية التقارب أو التفاوت الطبقي، والدخل، وخارج القرابة، بدلاً من الرزانة، والعقل، وإتقان الأعمال المنزلية، والحرف والصناعات التقليدية وغيرها.

وهناك تغير في نمط التفكير بدلاً من الزواج الداخلي أصبح فكرة الزواج الخارجي أخذت نصيبها في المدينة، فالبعض يؤيد فكرة الزواج الخارجي لأسباب كثيرة منها: الابتعاد عن المشاكل الصحية، والمشاكل العائلية التي قد تحدث بعد الزواج، والمحافظة على العلاقات الاجتماعية والعائلية.

2- المهر:

المهر يُعدّ شيئاً رمزياً يهدف إلي غايات إنسانية سامية، فإن المفكرين ورجال الدين والمهتمين يحثون على عدم المغالاة، وتعقيد الزواج بسببه، والذي تلتقي فيه الحقوق والواجبات بارتباط ديني يشعر فيه الشريكان بأن كلا منها يقوم بحق الآخر في ظل رابطة مقدسة تعلو بإنسانيته. أما اليوم فتغيرت الحياة الاجتماعية والمادية، وزادت متطلباتها وتغير معها المهر، وأصبح يشكل عبئاً كبيراً على الشاب الذي لا يستطيع تحمله، مما يضطره إلى الدين لسد متطلباته، وبعد الزواج يصبح في مشكلة سداد الديون.

أدى ارتفاع المهور وزيادة مظاهر الإسراف في الأفراح إلى تأخر سن الزواج لدى الشباب حتى يستطيعوا توفير تكاليفه، والزواج في المدينة يمر بمراحل تبدأ بالخطبة المبدئية، ثم الخطبة الرسمية، التي تتضمن احتمالاً يتحمل مصاريفه أهل الشاب، ثم إقامة مراسيم الزواج الذي يستمر لعدة أيام.

نجد إن غلاء المهور اليوم يشكل عبئاً كبيراً، ويرهق الشاب، بحيث يحتاج إلى وقت طويل ومبالغ طائلة من المال لشراء الحلى والملابس، والغداء، والأثاث، والتي أصبحت ضرورية، ولا يتم العرس إلا بتوفيرها، وأن أغلب الأسر لهذه اللحظة لا توافق على زواج بناتها إلا إذا قام الشاب بإعداد البيت وتجهيزه، إلى جانب المهر الذي يدفع للعروس، والهدايا وتكاليف العرس التي يصل متوسط التكلفة إلى أكثر من خمسة آلاف دينار ليبي. وفي بعض الأحيان إلى عشر آلاف دينار ليبي، وبهدف المباهاة والتظاهر.

بالإضافة إلى الذهب، وإحضار الملابس للعروس وأهلها، وإحضار بعض السلع الغذائية، وأصبحت العروس تذهب إلى مراكز الزينة بدلاً من الوشامة، وتزف بالسيارة الفاخرة المزينة بدلاً من الجمل، ومما يزيد الأمر تعقيداً المغالاة والزيادة في الشروط، فعندما يتقدم للفتاة شاب غريب من خارج العائلة، حيث تستخدم غلاء المهر كوسيلة للضغط على الغريب حتى يرجع عن اختياره، في حين في حالة ابن العم يكون المهر أقل، ونجد أن مهر الفتاة يختلف من الشخص الغريب إلى ابن العم.

3- عقد القرآن:

عقد القرآن في الإسلام هو عقد رضائي، وهو مدني لا يخضع لأية طقوس دينية أو إجراءات عقائدية من قبل رجال الدين، أو في أماكن العبادة، بل يمكن أن يتم في أي مكان أمام أفراد عاديين أو أمام الجماعات، على أن يستوفي شروط صحته من طلب، وقبول، وإيجاب ويُعدّ عقداً يجب أن ينعقد على أساس من الإرادة الحرة، والرضاء التام بين الزوجين الراشدين، وبذلك تحل المرأة للرجل شرعاً، وغايته إنشاء رابطة مشروعة بينهما للحياة المشتركة[37].

وفي مدينة خصص مكاتب خاصة لعقد الزواج.

4- مراسيم الزفاف:

يبدأ العرس في الوقت مقتصرا على ثلاثة أيام، وهي:

يوم الثلاثاء: وجبة الغداء تكون (مكرونة)، وفي الليل يأخذ أهل العريس إلى أهل العروس ما يسمى بالبيان، وهو عبارة عن (السبيزة)، وتتمثل في تموين تام من الألبسة ومواد غذائية، وخضروات ووغيرها.

يوم الأربعاء: يوم الحنة وفيه تذهب الحنايات (أخوات العريس) أو الأقارب، ويلبسن اللباس التقليدي، ويقمن بوضع الحناء للعروس تقريا نفس طقوس قديما كما ذكرنا سابقاً في كيفية وضع الحناء للعروس، ولكن تغير في يوم الحناء وتغير أيضاً في وضع الحنة، لا تحنى اليد كلها إنما وضع[38] دائرة صغيرة في كف العروس فقط إشارة إلى التمسك بالعادات فقط.

يوم الخميس: هو يوم العزومة، أي غداء يقوم به أهل العروس، ويأتي الأهل والجيران والأقارب والأصدقاء، ومن ثم تذهب العروس إلى مراكز التجميل لتتزين، وتلبس الأبيض بدل من اللباس التقليدي، ومن ثم يأتي موكب السيارات المزينة، وفي مقدمتهم سيارة العريس وهو بنفسه يأخذ عروسته إلي بيته.

يوم الجمعة: هو يوم المحضر وتلبس العروس (بدلة كبيرة) ويأتي إليها أهلها، وكذلك تأتي معهم أم العروس، وتقدم الناس الهدايا وتبارك للعروس، مع تقديم الخبز والاسفنز.

والعروس لا تزور أمها إلا بعد شهر من زواجها.

ولقد حدث انقلاب على عادات وطقوس العرس بسبب التغيرات الحاصلة، فأصبح العرس متطوراً بفضل القفزات المادية الكبيرة، وأيضاً دخل مصطلح جديد بدل من العرس الفردي ليقام عرس جماعي بمدينة نالوت، حيث أقيم العرس الثاني في تاريخ 2002/9/4، وكان عدد العرسان ما يقارب 10 عرسان، وفي عرس جماعي ثالث بتاريخ 2004/8/19، وعددهم 24 عريساً وعرس جماعي رابع كان بتاريخ 2005/8/8، وعددهم 42 عريساً[39].

سادساً – الخاتمة:

إن تطور الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والحياتية عموماً نتج عنه التغير الذي حدث بين جيل الآباء والأبناء فيما يتعلق بشؤون الزواج واختيار الشريك، ولكن هذا التغير لا يسير على نفس الوتيرة، فهو تارة ملحوظ في القيم المادية المتعلقة بسن الزواج والتعليم وأسلوب الاختيار، وتارة طفيف لا يكاد يلاحظ في القيم المعنوية العميقة، مثل أهمية الأصل، والقرابة ووسيط الاختيار للشاب.

ويمكن رصد أهم التغيرات الحاصلة في قيم وعادات الزواج بين الماضي والحاضر بمدينة نالوت في النقاط الآتية:

1- يشير إلى أن هناك تغيراً في عدد أيام العرس، فقد تقلصت مدته إلى ثلاثة أيام على الأقل، وكذلك فيما يخص تنظيم الاحتفالات وأشكالها، وكذلك في شكل الألبسة وملابس الزفاف والهدايا.

2- تغير في زيادة نفقات وتكاليف الزواج، وأيضاً طال التغير في وجبات العرس، فلم تعد وجبة البازين أو الفتات (الشرشي) هي الرئيسية بل استبدلت بوجبات أخرى مثل المكرونة والرز أو الكسكسي، وأيضاً لم تعد النساء القريبات والجيران هم من يعدون الوجبات، بل تطور الأمر واستبدل بالتشاركيات والطباخين في الوجبات الرئيسة للعرس، ونساء الأقارب اكتفوا بالاهتمام بأنفسهن، وارتداء أفضل الملابس فقط.

3- واستبدلت بطاقة الدعوة بدلاً من البسيسة أصبح عن طريق ورق مطبوع، أو الهاتف أو الذهاب إليهم بأنفسهم إلى البيت. وأيضا طال التغير الذهب محل الفضة كحلي للعروس، وشاعت موضة الغناء الحديث بدلاً من الأغاني القديمة.

4- ويشير أيضاً إلى تغير في دائرة الاختيار من داخل القرابة فأصبح الآن خارج نظام القرابة، ولكن ليست بصورة كبيرة، وإنما يعتمد الأمر على حسب العائلة وظروفها.

5- التغير أيضاً طال في الصفات المفضلة لاختيار الفتاة: الدخل، وصغر السن، والتعليم، والجمال، والحب والمشاعر، بدلاً من الرزانة والعقل،و إتقان الأعمال المنزلية، والصناعات التقليدية.

6- ارتفاع المهور وزيادة مظاهر الإسراف في الأفراح.

- **المقترحات:**

1- ضرورة إجراء دراسة معمقة عن عادات الزواج بالمدينة في الوقت الحاضر.

هوامش البحث

1 على أسعد وظفة، جدل الثقافة والشخصية : قراء اثربولوجية، مجلة علم الفكر، الكويت، العدد الأول، 1999، ص21.

2 مصطفى عمر التير، مسيرة التحديث المجتمع الليبي، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1992، ص18.

3 محمد الطنوني، التغير الاجتماعي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1996، ص52.
4 دلال ملحس استيتيه، التغير الاجتماعي والثقافي، منتدى اقرأ الثقافي، ط3، 2010م، ص75.
5 علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة لدراسة الأسرة، ط2، القاهرة، دار المعارف،1992، ص136.
6 سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، 1978، ص39.
7 مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، بيروت، دار النهضة العربية، 1985، ص44.
8 الوحيشي أحمد بيرى، الأسرة والزواج، طرابلس، دار الكتب الوطنية، 1998، ص47.
9 مفتاح على بالحاج الشويهدي، دراسة في التحديث الاجتماعي، ط1، مصراته، دار الكتب الوطنية، 2019، ص124.
10 محمد عبد القادر الشيباني، القيم والعادات الاجتماعية في المجتمع الليبي، ط1، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 2007، ص63.
11 فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2003، ص111.
12 توفيق مرعي و بلقيس أحمد، المسير في علم النفس الاجتماعي، ط2، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1984، ص 216.
13 علي عبد الرزاق جبلي، دراسات في المجتمع والثقافة الشخصية، بيروث، دار النهضة العربية، 1984، ص 134.
14 الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، طرابلس، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس، 1980، ص 184-185
15 قانون رقم (10) لسنة 1984 م بشأن الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق وآثارهما وتعديلاته ص 3

16 سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص 64.

17 أبو بكر يوسف شلابي، مقدمة في علم الإنسان، طرابلس، منشورات جامعة المفتوحة، 1989، ص 163.

18 سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، مرجع سبق ذكره، ص 171.

19 فارس أحمد العلاوي، معجم مؤتمرات وقرى شعبية نالوت، ط1، دمشق، مركز علوم الكبيوتر، 2001، ص 14.

20 معلومات كتابية مدونة من مسعود عمرو صالح، 1945، معلم متقاعد.

21 إبراهيم سليمان الشماخي، القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسة من طرابلس، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 2006، ص 267.،

22 هنريكو دي أغسطيني (ترجمة خليفة محمد التليسي)، سكان ليبيا، طرابلس، جزء الأول، دار العربية للكتاب، 1974، ص 521.

23 محمد سعيد القشاط، موسوعة القبائل العربية الليبية، ط1، القاهرة، الجزء الأول، مكتبة جزيرة الورد، 2018، ص262.

24 نقلا عن : فارس أحمد العلاوي، معجم مؤتمرات وقري شعبية نالوت، مرجع سبق ذكره، ص 17-18.

25 مسعود عيسى العزابي، رواية شفوية، 1954م،

26 زكي الدين شعبان، الأحكام الشرعية والأحوال الشخصية، ط3، طرابلس، منشورات الجامعة الليبية، 1973، ص63.

27 المبروك محمد موسى، العادات والتقاليد في الجبل الغربي خلال العهد العثماني الثاني، مجلة تراث الشعب، العدد 65، 2013، ص117.

28 مسعود عيسى العزابي، العرس الجماعي نالوت : المفهوم والأهمية دراسة تحليلية مقارنة، 2014م ص 72.

29 مسعود عيسى العزابي، المرجع نفسه، ص 48

30 سالمة عمر برقيق، كامل سعيد ورغ، شيء من الماضي كيف كنا، بنغازي دار الكتب الوطنية، 2016، ص 25-26.

31 رواية شفوية : سليمان عمر على يحمد، مواليد 1953، رئيس جمعية أفكان للثقافة والتراث الأمازيغي.

32 رواية شفوية : سليمان يحمد، رواية سبق ذكرها

33 يقول سليمان يحمد والمعنى من ذلك أن الله واحد ونحن لا نتشبه بوحدانية الله.

34 نقلا عن : سالمة عمر برقيق، كامل سعيد ورغ، مرجع سبق ذكره ص ص 28-29.

35 نقلا عن : سالمة عمر برقيق، كامل سعيد ورغ، شيء من الماضي كيف كنا، مرجع سبق دكره، ص ص38-39-40

36 معلومات كتابية مدونة من السيدة : ناجحة عيسى احمودة، العمر 51 سنة، عضو المجلس البلدي نالوت والمشرف العام على مركز تدريب وتطوير المرأة نالوت.

37 زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية لقضاياه المعاصرة، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1976، ص ص91-93.

38 معلومات هاتفية من فاتن، مواليد 1979، العمل في المحكمة.

39 مسعود عيسي العزابي، العرس الجماعي نالوت، مرجع سبق دكره/ ص 115-111.